المحاضرة رقم: 01

نظريات نشأة اللغة

هناك أربع نظريات مشهورة حاولت تفسير نشأة اللغة؛ هي:

- نظرية المحاكاة.
- نظرية التواضع والاصطلاح.
- نظرية التوقيف والإلهام.
- نظرية الغريزة الكلامية.

وهذه المسألة اختلف فيها الناس قديما وحديثا، وبُذلت فيها جهود كثيرة، وليس في أدلة أيّ من تلك النظريات ما تطمئن إليه النفوس، بل هي ظنية. وقد قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائيا أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلستها.

ذهب العرب مذاهب مختلفة في هذا الموضوع، وتشعبت تفسيراتهم وحججهم فيه.

1- نظرية التوفيق والإلهام: وتقول هذه النظرية، إنّ اللغة وحي وإلهام من الله، أي إنّ الله (عزّ وجل) هو الذي علّم الإنسان اللغة عن طريق الوحي.

فالصحابي الجليل عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت68هـ) يرى أنها نشأت توقيفا، أي وحيا وإلهاما من الله عزّ وجل لآدم (عليه السلام)، محتجا بقوله تعالى: (وعلّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها) (البقرة:31)، وأخذ بهذا الرأي جماعة من المفسرين والفقهاء أمثال حصيف ومجاهد وابن جرير الطبري والقرطبي أبي حيان الأندلسي والألوسي وغيرهم. كما أخذ بهذا الرأي من المتكلمين والأشاعرة ومن الأصوليين ابن الحاجب وآخرون، ومن اللغويين أحمد ابن فارس صاحب **كتاب (الصاحبي)**. وأبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني في أحد أقواله.

وكان عبد الله ابن عباس يقول في تفسير الآية الكريمة: " علّمه الأسماءَ كلَّها وهي التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وقد دافع ابن فارس (ت395هـ) عن مذهب ابن عباس معتقدا بصحة تفسيره للآية الكريمة، وبصواب رأيه في توقيف اللغة، وناقش ما اعترضه من حجج. فقال: (الذي نذهب إليه من في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس. فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه، لقال (ثم عرضهن) أو (عرضها)، فلما قال (عرضهن) علم أنّ ذلك لأعيان بني آدم والملائكة،لأن موضوع الكناية في كلام العرب يقال لما يعقل (عرضهم) ولما لا

يعقل (عرضها) أو (عرضهن). قيل له: إنما قال ذلك والله أعلم؛ لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب أعني باب التغليب) [1]. ويضرب للتغليب أمثلة كثيرة من القرآن.

وذهب إلى هذا الرأي أبو علي الفارسي (ت377هـ)، ونقل عنه تلميذه ابن جني أنه قال:)هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه (وعلم آدم الأسماء كلها) [2]، وتردد ابن جني في الأخذ بمذهب معين، ومال إلى أكثر من مذهب واحد في نشأة اللغة، إلا أنه كان يميل أحيانا إلى الأخذ بمذهب التوقيف فقال: (وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة؛ بأنها من عند الله جلّ وعزّ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه وأنها وحي) [3] . وسار على هذا المذهب جمع من علماء اللغة العرب، والفقهاء والمتكلمين، وعرض لهم السيوطي بالتفصيل وبسط آراءهم وما جاءوا به من أدلة نقلية وعقلية.[4]

وأخذ بهذا الرأي من الدارسين المحدثين الأب لامي في كتابه (فن الكلام) والفيلسوف دوبونالد في كتابه (التشريع القديم)، ومعتمدين على ما ورد في سفر التكوين مما يشعر بذلك [5] .

ويقول معارضوها بأنها ليست لها ركائز علمية، أو مستندات يقبل بها العقل البشري المجرد عن الدافع الديني، ولذلك رفضت. وهي تفتقر إلى الحجج المقنعة من جهة، ولمخالفتها سنن التطور المنطقية، وطبيعة نشأة الظواهر الاجتماعية من جهة أخرى. ذلك أنّ الآية الكريمة المحتج بها في هذا المقام، ليست صريحة فيما يريدون منها. فقد تعنى كما ذهب ابن جني وغيره من العلماء أنّ الله أقدر الإنسان على وضع الألفاظ، وهو معنى مقبول، وتفسير مرتضى.

واللغة بعد ذلك ظاهرة اجتماعية، موجودة في الذهن الجمعي للمجتمع، لا يقدر على إحداثها واضع معين، إنما تنشأ بسبب الحاجة على التعبير والتفاهم.

2- **نظرية التواضع والاصطلاح:** تذهب هذه النظرية إلى أنّ اللغة وُضعت بالتوافق بين الناس، أي إنّ هؤلاء اجتمعوا واتفقوا فيما بينهم على تسمية الأشياء بأسمائها، وعلى قواعد ربط الكلمات في الجمل، وذلك "كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره، وليغني بذكره من إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل

---

1 – ابن فارس ، الصاحبي، ص: 5.

2 – ابن جني، الخصائص، (40/1).

3 – ابن جني، الخصائص، (41/1).

4 – انظر: السيوطي، المزهر، (17/1).

5 – انظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، (17/1).

من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله...فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومؤوا إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أنّ المراد به هذا الضرب من المخلوق" [1].

وأول من أشار إلى هذا المذهب وأخذ به أبو الحسن الأخفش (ت211هـ)، ورأى أنّ اللغة لم نوضع كلها في وقت واحد، وإنما تلاحق وضعها وتتابع، قال: "اختلاف لغات العرب إنما جاء من قبل أن أول ما وضع منها وضع على خلاف، وإن كان مسوقا على صحة وقياس، ثم أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة إليها، غير أنها على قياس ما كان وضع في الأصل مختلفا"[2].

وراق هذا المذهب لابن جني الذي مرّ أنه مال إلى التوفيق، فعاد هنا ليميل إلى التواضع، فعلى الرغم من أنّ الأخبار والآثار تقوي عنده أنا من عند الله: "غير أن أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوفيق"[3]. ولعل هذا المذهب أكثر انسجاما مع مذهب الاعتزالي، الذي يقدم العقل على النقل.

وقد اعتُرض على هذه النظرية باعتراضات منها:

- أنها مفتقرة إلى سند علمي مقبول أو حقيقة تاريخية معتمدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): " فلا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب، بل عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا هذه الأسماء الموجودة في اللغة، ثمّ استعملوها بعد الوضع، فإن ادعى مدع أنه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل، فإنّ هذا لم ينقله أحد من الناس"[4].
- أنّ التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يُتفاهم بها.
- استحالة تفاهم الحكماء وتواضعهم دون لغة صوتية يتفاهمون بها، أو هي من الصعوبة بمكان.
- هي مجرد دعوى يعوزها الدليل.
- لم يقل كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن تبعهم.

---

1 - ابن جني، الخصائص، (42/1).

2 - السيوطي، الاقتراح، ص8.

3 - ابن جني، الخصائص، (42/1)

4 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (62/7)

- القول بالتواضع يعارض القوانين العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية؛ لأنها لا تخلق من عدم ولا ترتجل ارتجالا، بل تتدرج في وجودها شيئا فشيئا، وهي نتيجة تراكمات طويلة، تحتاج إلى زمن طويل لتنضج وتستوي.

- فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف أيضا على وجود هذه اللغة من قبل"[1].

3- نظرية محاكاة أصوات الطبيعة أو نظرية Bow wow:

يعتقد أصحابها أنّ نشأة اللغة بدأ محاكاة لأصوات الطبيعة، وتقليدا للأصوات المسموعة عن الحيوانات والطيور، ودوي البحر والأشجار وصوت الرعد والعصف والريح وأصوات الضرب والقطع والكسر، ومحاكاة التعبير الطبيعي عن الانفعالات عند الانسان كأصوات الضحك والبكاء والرعب وغيرها. وكان ابن جني معجبا بهذه النظرية إذ أفرد بابا في كتابه **الخصائص** سمّاه " باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وقال فيه: (... وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هم من الأصوات المسموعة كدوي الريح ، وحنين الرعد، وخرير المياه، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل) [2]. وقد استحسن السيوطي رأي ابن جني .

ثم تطورت هذه المحاكاة بتطور عقل الإنسان وحضارته وحاجته، واستوت على شكل لغة يستخدمها في أغراضه المختلفة.

وأول من تنبه لهذا الخليلُ بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، دون أن يصرح بأنه مذهبه في تفسير نشأة اللغة؛ ومن خلال معالجته لبعض الألفاظ نلمس بأنه يرى ذلك المذهب وذلك كقوله: " صرّ الجندبُ صريرا، وصرصر الأخطبُ صرصرة، كأنهم توهموا في صوت الجُندب استطالة ومدا، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا"[3]. وذهب إلى أنّ مثل: غَلَيَان، وغَثَيَان، ولَهَبَان، ووَهَجَان وغيرها من المصادر. إنما كانت محركة فلما تحكيه من دلالة على الحركة[4].

---

1 - ينظر: الرافعي، تاريخ آداب العرب ، (46/1).

2 - ابن جني، الخصائص، (99/98/1).

3 - ابن جني، الخصائص، (52/2). ومقدمة العين، ص: 62.

4 - سيبويه، الكتاب، (218/2).

وعلى هذا المذهب أكثر الدارسين المحدثين، لما وجدوه من مجانسة لقوانين التطور اللغوي، وقيامه على أسس المنطق العلمي. وكان على رأس الذاهبين إليه من الغربيين **الباحث وتني** ومن العرب **مصطفى صادق الرافعي** و**علي عبد الواحد وافي**.

يقول مصطفى صادق الرافعي: "وأقرب ما يصح في الظن أن الأصوات الحيوانية هي المثال المحتذى في لغة الإنسان،؛ لأنها محيطة به تتقلب على سمعه كلما سمع، خصوصا والإنسان في أول اجتماعه مضطر لمغالبة الحيوان، فهو بهذا الاضطرار بتدبر اختلاف هيآت الصوت الواحد ومعاني ما فيه من النبر، ودليله في ذلك أفعال الحيوان التي تؤدي معاني هذا الاختلاف من نح الغضب والألم والذعر"[1]

وقد رفضت هذه النظرية؛ لأنها لا تفسر إلا كلمات قليلة جدا في اللغة لا تتعدى نسبتها الواحد من عشرة آلاف. ومعظم الحيوانات والأشياء التي تُحدِث أصواتا لا ارتباط بين أصواتها وأسمائها في لغات العالم. ولو كان ثمة ارتباط بين الكلمة وصوتها، لكانت المصوتات لها اسم واحد في مختلف اللغات؛ أي لكان كل من الأسد والقط والحمار والكلب والبط وغيرها من الحيوانات المصوتة لها اسم واحد في كل لغات العالم.

وهذا بالنسبة للمصوتات، فكيف بالنسبة إلى ما لا صوت له، كالأرض والتراب والحجر، والصخر والنبات وغيره؟ وكيف القول بالنسبة إلى اسم المعنى الذي لا يُدرك بالحواس؛ كالشرف والمروءة والعقل والكرم البخل والصدق والكذب والشجاعة والجبن وأسماء الأمراض والأدوية ؟

4- نظرية الأصوات التعجبية العاطفية، أو نظرية Pooh-pooh

ترى هذه النظرية أنّ اللغة صدرت عن الإنسان بصورة عاطفية غريزية تعبيرا عن انفعالاته، فنحن نتأفف بالقول: أفٍ، وكذلك يقول الألماني **PFUI** والساميون يتحسرون أو يتلهفون بالقول "وي"[2] وقد رفضت هذه النظرية للأسباب نفسها التي ذكرناها في نظرية محاكاة أصوات الطبيعة.

---

1 - الرافعي، تاريخ آداب العرب، (48/1).

2 - أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ص: 18.

5- نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية، أو نظرية Yo-hé-ho

تقول إنّ اللغة الإنسانية بدأت بالأصوات العفوية التي تصدر عن الإنسان عند قيامه بعمل شاق، كقطع شجرة أو صخر أو حمل ثقل أو العمل في الحدادة...وقد رفضت هذه النظرية كسابقتها.

6- نظرية محاكاة الأصوات معانيها، أو نظرية Ding dong

ترى هذه النظرية أنّ جرس الكلمة يدل على معناها، وهي متداخلة مع نظرية محاكاة أصوات الطبيعة. وقد رفضت للأسباب نفسها التي رُفضت بها نظرية المحاكاة.

وهكذا نرى أنّ النظريات التي حاولت تفسير نشأة اللغة رُفضت جميعا؛ لأنّها لم تفسر إلا جانبا ضيقا جدا من اللغة، التي نشأت في عصر سحيق موغل في القدم، ولا يمكن وصف هذه النشأة إلا بالظن والتخيل والافتراض، وهي أمور يرفضها العلم الحديث.

وخلاصة المسألة: إن اللغة بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي وبعضها محاكي لأصوات الطبيعة، ويجوز فيها هذا وهذا وذاك.

المحاضرة رقم: 02

اللغة العربية واللغات السامية

اللغة العربية ولهجاتها

1- **تعريف اللغة:** أصلها لُغَيٌ أو لُغَوَ، والهاء عوض ـ عن الياء أو الواوـ وتجمع لغىّ مثل بُرَة وبُرًى، ولغات أيضا. أما النسبة إليها فهي لُغَوِيٌّ ولا يقال لَغَوِيٌّ[1].

"وهي الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة"[2]، و(اللِّسْن)[3].

لقد اختلفت عبارات العلماء قديما وحديثا في بيان حقيقة اللغة وحدّها، فقيل إنها:

* أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم. [4] **(ابن جني)**

- فهي الرموز الصوتية المنطوقة دون المكتوبة.
- وسيلة تعبير، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وحاجياتهم، لكون الإنسان اجتماعيا بطبعه.
- تعبرعن الأغراض، والأغراض اسم جامع لكل وظائف اللغة.

* عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام. [5] **(ابن سنان الخفاجي)**

- رجح ابن سنان كون اللغة اصطلاح.
- كونها كلامية تتحقق بالفعل اللساني.
- اجتماعية، تتأتى بفعل الأقوام لها.

*كل لفظ وضع لمعنى. [6] **(محمود الأصفهاني)**

- اللغة لفظ ومعنى.
- فاللغة تتكون من الألفاظ ذات المعاني التي تتبادل، فيفهم كل صاحبه ما أراد بها حين نطقها.

---

1 - الرازي، مختار الصحاح، ص: 291، مادة:(لغا)

2 - الزبيدي، تاج العروس، (154/20)، مادة:(لغا)

3 - ابن منظور، لسان العرب، (251/15)، مادة:(لغو)

4 - ابن جني، الخصائص، (33/1)

5 - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 43.

6 - الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، (105/1)

إن اللغة ظاهرة إنسانية ذات طابع اجتماعي ملازمة للفرد، وقد نشأت بنشوئه، ونمت بنموه الحضاري، وهي منزل الكائن البشري ومرآة فكره.

وعرّفها أحمد مختار عمر: «معنى موضوع في صوت»[1]

جوهر اللغة أصواتها، وهي تلك الرموز الملفوظة لا المكتوبة، وهذه الأصوات المنتظمة تعاقبيا تحمل معنى، وهي اجتماعية، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هدفها التواصل بين أفراد المجتمع؛ لأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، وننبه إلى الخصائص العامة التي تشترك فيها كل اللغات وهي: 1– كلها أصوات. 2– لكل لغة نظام خاص بها بل هي نظام من الأنظمة، أي نظام صوتي، صرفي، نحوي، معجمي. 3– اللغات كلها اعتباطية، وهو سبب اختلافها، فلو كانت العلاقة بين الدال والمدلول معللة، لكانت لغة واحدة. 4– اللغات كلها متشابهة ومختلفة في آن واحد؛ متشابهة في الخصائص العامة مختلفة في اعتباطية العلامة. واختلاف اللغات آية من آيات الله جلا وعلا، **قال تعالى: {ومن آياتِه خلقُ السماواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين} [الروم:22].**

تعريف اللهجة[2]:

اللهجة اصطلاحًا: اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: «هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعًا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات»[3]، مما سبق يتضح لنا أن اللهجة هي

---

1 – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1982، ص 05

(2)– **اللهجة لغة:** «اللَّهْجَةُ وَاللَّهَجَةُ: طَرَفُ اللِّسَانِ أو اللِّسَانُ، أو اللغة أو طريق أداء اللغة، أو النطق، أو جَرْسُ الْكَلَامِ ونغمته أو اللسان» [ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (ل. هـ. ج). (359/2)] وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَوْ قَالَ البطحاء مِنْ ذِي لَهْجَةً أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ» [القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (36/1)].

(3)– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010، ص 15.

الخصائص أو الصفات التي يتميز بها أهل بيئة ما في طريقة أداء اللغة ونطقها، واللغة تتشعب منها لهجات مختلفة، لها نظام واحد يحكمها.

واللهجات تختلف في الجوانب الصوتية والدلالية، وبدرجة أقل الجوانب الصرفية والنحوية؛ لأنّ للصرف والنحو قوانين ثابتة بخلاف الجانب الصوتي الذي يخضع للأداء، وأما الجانب الدلالي فالمعاني مختزنة في العقل، ولا تخضع في الغالب لقانون، واللهجات العربية تختلف غالبا في الجانب الصوتي، مثل نطق الهمزة، أو الألف، أو الجيم، أو الذال، أو تفخيم صوت أو ترقيقه، أو اختلاف في مواضع النبر. قال الأصمعي: «اختلف رجلان فقال أحدهما: (الصقر)، وقال الآخر: (السقر)، فتراضيا بأول وارد يرد عليهما، فإذا رجل قد أقبل، فسألاه. فقال: ليس كما قلت أنت، ولا (كما قلت أنت)، إنما هو الزقر»[1].

عوامل نشأة اللغات

وتنشأ اللهجات العربية نتيجة لانعزال بعض القبائل وتمسكها بعاداتها وتقاليدها، وهناك سبب آخر هو الصراع اللغوي نتيجة الاحتكاك إما بالهجرات أو الغزو، وهذا الاحتكاك يؤدي إلى تداخل اللغات وتأثيرها في بعضها البعض، قال إبراهيم أنيس: «هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكوّن اللهجات في العالم هما:

أ/– الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

ب/– الصراع اللغوي نتيجة غزو، أو هِجْرَات.

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لهجات مستقلة كلغة واحدة. نتيجة أحد هذين العاملين، أو كليهما معًا.

فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية، أو اجتماعية، نستطيع أن نحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة»[2]، واللغة التي تتسع وتفصل بين أراضيها عوامل جغرافية واجتماعية نستطيع أن نتصور إمكانية تشعبها إلى عدة

(1)- ابن جني، الخصائص (217/3).

(2)- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 20.

لهجات نتيجة قلة الاحتكاك، خاصة إذا طال هذا الانعزال قرنا أو قرنين؛ لأنّ اللغات في تطور دائم. ومثال ذلك ما حدث للغة العربية في شبه الجزيرة العربية، فاللغة العربية يُتكلم بها في أرض شاسعة، صحراوية فيها الكثير من الجبال والحرار[1] التي تقف حائلا دون احتكاكهم، وقد ذكر الجغرافيون سبب تسمية الحجاز؛ لأنه يحجز اليمن عن الشام، أضف إلى ذلك كثرة أسفارهم وترحالهم طلبا للماء والمرعى والمسكن الآمن. وليست العوامل الجغرافية وحدها هي سبب نشوء اللهجات وتطورها، فهناك عوامل اجتماعية أخرى مثل بعض المهن التي تشتهر بها بعض القبائل، فأبناء هذه البيئة لهم ظروف اجتماعية تفرض عليهم الحديث عن ما يشغلهم، فيؤدي ذلك إلى اختلاف اللهجات، و«خير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يشعب اللغة الواحدة إلى لهجات، تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للإسبانية والإنجليزية حين انتشر كلاهما في بقاع بعيدة، الأولى في أمريكا الجنوبية، والثانية في أمريكا الشمالية، وبدأنا نلحظ فروقا صوتية بين إسبانية أوربا وإسبانية أمريكا، وإنجليزية أوربا وإنجليزية أمريكا»[2].

أما العامل الثاني عامل الاختلاط أو الاحتكاك، فهو ضرورة تاريخية لاستحالة انقطاع شعب أو قبيلة عن أي احتكاك خارجي لمدة طويلة جدًا. والاختلاط بين لغتين أو لهجتين، لا يكون دائما على وتيرة واحدة، لأنَّ اللغات تختلف في القوة والضعف، منها من تصمد عند الاحتكاك وتُظهر قدرًا كبيرًا من المقاومة، وذلك لأسباب متعددة نذكر منها، تطور أهلها؛ وحرصهم عليها كأن تكون لغة دين يتعبدون بها، أو ربما تكون بعض الخصائص في اللغة نفسها.

وقد تكون عوامل سياسية مثل خضوعهم لسلطة واحدة، أو اعتناقهم لدين جديد، سيساعد على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة، وقد يرجع السبب إلى اللغة نفسها التي تحمل قوة الثبات بين جنباتها مثل اللغة العربية التي لها منظومة صوتية رائعة، أصواتها موزعة توزيعًا عادلا على المدرج الصوتي، وهي لغة أوزان فأوزانها معلومة معدودة، بالإضافة إلى أنها لغة معربة الكلمة فيها حرة تقدم أو تؤخر؛ لأن الإعراب هو الذي يحدد وظيفة الكلمة في الجملة، وتحمل أيضًا قوة التطور لأنّها لغة اشتقاقية.

---

(1)- الحرار: جمع حرة، وهي حجارة سود يحيط بها.

(2)- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 21.

مراحل الصراع بين اللهجات:

وللصراع اللغوي بين اللغات أو اللهجات مراحل منها: غزو ألفاظ اللغة القوية، لتحل محل اللغة المقهورة تدريجيا، طبعًا لقوة اللغة أو لضعفها وربما انتصرت وطغت عليها، كما طغت لهجة قريش في جزيرة العرب، وكما صنعت اللغة العربية لما غزت اللغات القبطية والبربرية، فلم تترك لها شيئًا إلا بعض المفردات.

أما إذا كانت اللغتان متكافئتين فإن الصراع سيطول، وإذا قُدّر لواحدة منهما أن تنتصر، فستخرج من هذا الصراع منهكة قد احتفظت بمفردات كثيرة من اللغة المنهزمة، قد تصل إلى خمسين بالمئة.

وأما المرحلة الثانية، فهي تغير مخارج الحروف، ويقترب النطق بها من النطق بأصوات اللغة الجديدة، حتى تُطابق اللغة المنتصرة أو تقترب منها؛ لأن المغلوب مولع بمحاكاة الغالب في كل شيء حتى في نطق الأصوات، وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل الاحتكاك والصراع؛ لأنها تقترب من اللغة الغالبة وتزداد بعدًا عن اللغة الأصلية، فإذا ذهب جيل وجاء جيل آخر نجد الأمر يزداد سوءًا.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الذوبان، حيث تفرض اللغة المنتصرة قوانينها الصوتية والصرفية والنحوية، وتبدأ في إحلال المعاني المجازية والاستعارات، محل اللغة المغلوبة، التي قد أشرفت على الموت، ولكن اللغة المنتصرة لا يكتب لها النصر إلا بعد أجيال متعددة وأزمنة طويلة، وقد لا يكتب لها النصر أبدًا إذا كانت اللغتان تعودان إلى أصل لغوي واحد أو هما شقيقتان.

«متى اجتمعت لغتان في صعيد واحد، فإنه لا مفر إطلاقا من أن تتأثر كل منهما بالأخرى، سواء في ذلك أتغلبت إحداهما على الأخرى، أم بقيت كل واحدة منهما بجوار أختها»

فعندما تغلب لغة لغة أخرى، فاللغة الغالبة تجعل من كل ما تأخذه غنيمة حرب وتجعله من عناصرها فتزداد قوة ونشاطا وتجددًا، دون أن يؤثر في بنيتها الأساسية، أما اللغة المغلوبة، فهي لا تستطيع أن تصمد أمام إغارة اللغة المنتصرة، وما تقذفها به من ألفاظ، وقواعد وقوانين، وأخيلة وأساليب، فتضعف ويدب فيها الوهن إلى أن تموت، كما فعلت العربية باللغات الكنعانية والآكادية، والنبطية، والآرمية التي كانت متاخمة للغة العربية من الناحية الشمالية في العراق والشام.

أما إذا كتب للغتين البقاء، فإن كل لغة تحاول استثمار ما أخذته من اللغة الأخرى في صراعها الطويل، مع اللغة الأخرى، وتضيفه إلى مكوناتها وقواعدها وأساليبها، وتتخلى عن الآثار الضارة

سواءًا أكانت هذه الآثار صوتية أم صرفية أم نحوية أم معجمية، أم أخيلة وأساليب، وكل ما ينطبق على اللغات ينطبق على اللهجات.

2/– الفرق بين اللغة واللهجة:

استخدم القدماء مصطلح (اللسان واللغة) فاللسان يقصدون به ما نقصد نحن اليوم باللغة، فيقولون لسان عربي، لسان فارسي، لسان رومي، لسان حبشي، وأما اللغة فيقصدون بها ما نقصد نحن اليوم باللهجة، فيقولون لغة قريش، لغة تميم، لغة هوازن، لغة بكر، لغة قيس.

عند القدماء		**عند المحدثين**
لسان	←	لغة
لغة (لحن)	←	لهجة

ونُقِلَ عنهم لفظة (لحن) أيضًا، فإذا سمع العربي كلمات غير مألوفة قال: «ليس هذا لحني، ولا لحن قومي» أي ليست هذه الكلمات من لغتي، ولا لغة قومي؛ لأن عدد لغات العرب كثير.

وقد تجتمع في الرجل أكثر من لغة، فقد أفرد ابن جني بابا سماه: (باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدًا)[1].

وذكر عدة أمثلة منها قول لبيد بن أبي ربيعة العامري:

سَقَى قَوْمي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقَى ... نُمَيْرًا والقَبَائِلَ مِنْ هِلالِ

فقد وردت في هذا البيت لغتان (سقى) و(أسقى).

ووردت لغتان في كلمة (وفى) و(أوفى).

قال طفيل الغنوي:

أَمَّا ابن طَوْقٍ فقد أَوْفَى بِذِمَّتِه ... كما وَفَى بِقلاصِ النَّجْمِ حادِيها

---

[1]- ابن جني، الخصائص (315/1).

والناس تختلف أحوالها في تلقي اللغات، فمنهم من يخف ويسرع، ومنهم من يستعصم ويتمسك بلغته ولا يحيد عنها، بسبب حبه لها وإيثاره إياها، أو لصعوبة تحول لسانه إلى لغة غيرها، ومن ذلك ما رواه أبو حاتم قال: «قرأ عليَّ أَعرابي بالحرم: (طِيبَى لهم وحسن مآب)، فقلت: {طُوبَى} [الرعد: 29]، فقال طِيبى، فقلت: طُوبى، فقال: طِيبَى، فلما طال عليَّ قلت: طُوطُو، فقال: طِي طِي، أفلا ترى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم»[1]، وواضح من هذه القصة أن الأعرابي امتنع عن نطق لغة غيره تعصبا. فلو أراد ذلك لاستطاع ودليل ذلك أنّ أبا حاتم طلب منه قول طُو طُو فقال طِي طِي.

جاورت العربية عدة لغات منها ما هو من فصيلها السامي، ومنها ما هو من الفصيل الحامي ومنها ما هو من اللغات التي يطلق عليها اسم الهندوأوروبية، فقد جاورت الفارسية من الشرق، والسريانية والرومية والنبطية من الشمال، واحتكت بالعبرية والقبطية من الغرب، وخالطت الحبشية واليمنية القديمة من الجنوب، «فالكلمات العربية الدالة على مظاهر الحياة الحضرية، وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى، ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعة، وشؤون التفكير الفلسفي انتقلت إلى العربية من الآرمية، وصراع العربية مع الفارسية أثر في كلتا اللغتين في كثير من المفردات والتراكيب بل في الأساليب والأخيلة»[2]. واللغات تتطور وتنقسم نتيجة عاملي الانعزال أو الاختلاط.

أنواع الاختلافات اللهجية:

الاختلافات الواقعة بين لغات (لهجات) العرب تشمل بعض الأصوات والكلمات والتراكيب، فمن الاختلافات الصوتية:

الاختلاف في نطق بعض الأصوات:

كلمة الصراط: هي لغة قريش، والسراط: لغة عامة العرب غير قريش، والزراط بإشمام الصاد زايا: لغة قيس، وكلها قراءات قرآنية متواترة سبعية.

الاختلافات الصرفية:

([1])- ابن جني، الخصائص (326/1).

[2]- عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 130.

صيغة فعل الأمر:

يقول بنو تميم: شُدَّ، وضنَّ، واستعدَّ، وفرَّ، واطمئنَّ يا غلام بينما يقول أهل الحجاز: اشدُد، واضنن، واستعدد، وافرر، واطمأنن.

وهناك لغتان في (استطاع) و(اسطاع)، قال تعالى: {فما اسْطَاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: 97].

وقد يكون الاختلاف في الحركات، مثل: نَستعين ونِستعين بفتح النون وكسرها، فالفتح لغة قريش وأسد، والكسر لغة تميم وعامة العرب، وهي تكسر في الفعل المضارع، وهذه حركة بناء لا حركة إعراب، ومنها ادّكر واذكر.

وقد يكون الاختلاف لهجيا أي الكلمة:

يقول النجديون وتميم: حَصاده، ويقول عامة العرب: حِصاده.

قَرح: لغة عامة العرب، قُرح: لغة تميم.

فصِرهن بكسر الصاد: لغة هذيل وسليم، فصُرهن: لغة باقي العرب.

وقد يكون الاختلاف معجميا: مثل: نشر ونشز.

وقد يكون الاختلاف في بنية الكلمة، إذا كانت الكلمة ثلاثية وعينها أحد حروف الحلق، فبعض العرب تفتحها، نحو: المَعْز المَعَز، دَأْبًا دَأَبًا، ظعْنكم ظعَنكم، البخْل البخَل.

وقد يكون الخلاف في الهمز والتسهيل نحو: هزؤًا (تميم)، وهزوًا ،تؤصده (تميم)، توصده.

وقد يكون الخلاف الفتح والإمالة، قضى، رمى، الضحى، فقريش تفتح وتفخم، أما ربيعة فهي تقرأ بالإمالة.

وقد يكون الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو: يأمُرُكم، يأمْرُكم.

وقد يكون الاختلاف في التخفيف والإشباع نحو: عليهم عليهمو.

ما ذكرناه آنفا من اختلافات هي اختلافات يسيرة بين القبائل العربية العدنانية التي تقع شمال الجزيرة العربية. أما الاختلافات بين اللغة العدنانية واللغة الحميرية فهو كبير البون شاسع، فقد قال أبو عمرو بن العلاء: «ما لغتهم بلغتنا ولا لسانهم بلساننا» وذلك للاختلاف الواضح بين لغة عرب اليمن (الحميريين) ولغة العدنانيين.

«وروي أن زيد بن عبد الله بن دارِم، وفد عَلَى بعض ملوك حِمْيَر، فألْفاه فِي مُتَصَيَّد لَهُ عَلَى جبل مشرف، فسلم عَلَيْهِ، وانتسب له، فقال لَهُ الملك (ثب)، أي اجلس، وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل فقال: (ستجدني أَيُّها الملك مطْواعًا)، ثُمَّ وثب من الجبل فهلك، فقال: الملك: مَا شأنه؟ فخبّروه بقصته وغلطه فِي الكلمة، فقال: (أما أنه ليست عندنا عربية: من دخل ظِفار حَمَّر)، أي فليتعلم الحميرية»[1]، ورويت القصة بطرق مختلفة. وما حكاه الأصمعي عن أبي عمر: «وقال: سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟! قال: نعم، أليس بصحيفة»[2]، وما يهمنا في هذه القصة التي حكاها الأصمعي، هو اختلاف اللغة بين اليمنيين وعرب الشمال، أما جواز القياس فهي مسألة أخرى ليست من صلب هذا البحث، قال ابن جني: «فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة بني نزار»[3].

وجميع لغات العرب صحيحة محتج بها في اللسان العربي، وهي تتقلب بين الفصيحة والفصحى، ولا يحق لأحد كائنًا من كان أن يخطِّئ عربيا، قد يقال له قد خالفت الأفصح والأولى، ولكن لا يقال له أخطأت، فكل منهما يحتمل جزء من الصواب، ويتوجه إليه اعتراض.

التقارب بين الساميات:

وسام أحد أبناء نوح – عليه السلام – وهو أبو العرب. وهذا الذي حدث للعربية وهو نفسه الذي حدث للغة السامية، قال ابن حزم: «إن الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقينا أن السريانية، والعبرانية، والعربية والتي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، واحدة تبدلت بتبدل بمساكن أهلها... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»[4].

بل قد أشار ابن تيمية إلى الصلات القوية والعلاقات اللغوية بين العربية والعبرية قال: «والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر، وقد سمعت

([1])- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص 28.

([2])- ابن جني، الخصائص، (220/1).

([3])- ابن جني، الخصائص (329/1).

([4])- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان (32/1-33).

ألفاظ التوراة بالعبرية من مَسْلمة أهل الكتاب، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيرًا من كلامهم العبري بمجرد معرفة العربية»[1].

أما سبب إعراض علماء العربية عن المقارنة بين العربية واللغات السامية الأخرى لاعتقادهم أن لغتهم لغة مقدمة، هي أسمى من اللغات الأخرى، وهذا الاحتفاء والتقديس جعلهم يربؤون بأنفسهم عن مقارنتها بغيرها.

لا شك أن القرآن الكريم نزل بلغة عربية قال تعالى: {ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ} [يوسف: 02]، لكن العلماء تساءلوا عن العربية هذه، التي نزل بها القرآن، ورُوي بها الشعر، وخطب بها الخطباء، وكتب بها تراثنا الإسلامي الزاخر الذي تجاوز ثلاثة ملايين مخطوطة مبثوثة في مكتبات العالم بعضها مازال بكرا، الحبر ملتصق بالصفحات، لم تمتد إليها يد لامس، وهي نفسها تلك اللغة التي يتواصل بها المسلمون اليوم، ويستخدمونها في عباداتهم، وفي شؤون حياتهم، تساءلوا: هل هذه اللغة هي لغة قريش وحدها هيمنت وسادت بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن، وفتح الأمصار أو هي لغة نموذجية أدبية؛ لغة العرب جميعًا تتكلم بها.

المسألة خلافية بين العلماء، منهم من زعم أنها لغة قريش، وفريق آخر ذهب إلى الرأي الأول أي هي لغة مشتركة بين العرب، استعملوها في تجارتهم وفي نواديهم وفي أسفارهم، واحتكاكهم بالقبائل الأخرى، مع تمسكهم بلغتهم (لهجتهم) الخاصة بهم إذا كانوا يتكلمون مع أبناء قبيلتهم.

ويظهر أن هذا الرأي هو الأرجح لأنّ لهجاتهم الخاصة بعيدة عن الفصحى، وبعضها فيه سمات لهجية مستهجنة، وقبيحة، يستحي صاحبها أن يتكلم بها في الأسواق والنوادي ولا يرى حرجا في التكلم بها إذا كان مع أبناء قبيلته «تلك هي الحال التي كانت شائعة عن الخاصة من رؤساء القبائل، يرونه عيبًا أن يخطبوا في سوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم، كما يرونه عيبًا أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات، هذه حال كانت مألوفة بين القبائل، متواضعًا عليها، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها»[2]. لكن الحديث عن اللهجات التي كانت سائدة قبل نزول القرآن الكريم يلفه الكثير من الغموض والوصول إلى الحقيقة صعب لأمور منها:

---

(1)- ابن تيمية، أبو العباس عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمدبن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995. (110/4).

(2)- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 41.

1/– الروايات التي وصلتنا عن اللهجات العربية قبل الإسلام قليلة جدًا ونادرة ولا يستطيع الباحث أن يرسم صورة عن ذلك الواقع اللغوي الذي كان سائدا.

2/– يخلو الشعر الجاهلي من اللهجات الخاصة بالقبائل، فلو تأملنا المعلقات العشر مثلًا، نجدها تمثل العربية الفصحى الراقية والتي تمثل لهجات القبائل التي تنسب إلى بعدها عن الفصاحة، فقد نسب اللغويون الكشكشة، والكسكسة الوكم[1] إلى ربيعة، وهي قبيلة كبيرة نزل منها عدة بطون وأفخاذ، منها ابنا وائل بكر وتغلب، ومن قبيلة بكر ثلاثة فحول من أصحاب المعلقات هم: الأعشى، وطرفة بن العبد، والحارث بن حلزة اليشكري البكري، ومن تغلب: عمرو بن كلثوم، فإن الناظر في هذه المعلقات الأربع يجدها تخلو من هذه العادات النطقية المستقبحة، فنعلم أن أصحابها كانوا يتكلمون لغة نموذجية مشتركة بين العرب، إذا ما استبعدنا فكرة تدخل الرواة، واصطلاحهم لهذه الأشعار، وهو بعيد لم يذكره أحد عن المعلقات، وإن كان ذكر وروي شعرا آخر بروايتين مثل قول المجنون:

فعيناك عيناها وجيدُك جيدُها سوى أنّ عظم الساق منك دقيق

وروي:

فعيناش عيناها وجيدُش جيدُها سوى أنّ عظم الساق منش دقيق

3/– القراءات القرآنية نقلت لنا جانبا مهما من اللهجات، لكن المتمعن فيها يجدها بأنها اختلافات صغيرة لا تكاد تذكر، غالبيتها اختلافات صوتية (أدائية نطقية) مثل إمالة صوت، أو إدغامه، أو إشمامه أو رومه، واو اختلاسه، أو إشباعه أو تسهيله، وهذه الاختلافات أو التنوعات أو كما يسميها المحدثون (ألوفونات) هي تلونات صوتية لا تؤدي إلى اختلاف المعنى، وقد يكون الاختلاف دلاليا بين قبيلة وأخرى، أو اختلاف صرفي أو نحوي، وكلها لا ترقى إلى مرتبة الاختلاف الكبير ولا تبلغ إلى درجة الزعم بأن القبيلة الأخرى لا تفهمها.

([1])- **الكشكشة**: إبدال كاف الخطاب في المؤنث **شينًا** في حالة **الرفع**، وهو الأشهر، وبعضهم شينًا في حالة النصب.
الكسكسة: إبدال كاف الخطاب سينًا، أو زياد سين على كاف المخاطبة.
الوكم: كسر كاف الخطاب في الجمع ما كان قبلها ياء أو كسرة عليكِم بكِم.

فوائد دراسة اللهجات:

- اللهجة ظاهرة لغوية موجودة في كل اللغات، كما أسلفنا، لأن اللغات تميل إلى الانشطار والانقسام، ودراسة اللهجات تمكننا من التعرف على تطور اللغة، ومراحل هذا التطور بالنسبة للأصوات أو المفردات أو التراكيب أو الدلالة.
- تفيدنا دراسة اللهجات في تفسير بعض القضايا العربية مثل: ظاهرة الترادف والمشترك اللفظي، والتضاد، والإبدال، وغيرها من القضايا التي نرجع جزءًا منها إلى الاختلافات اللهجية.
- تفيدنا في تفسير وتخريج كثير من القراءات القرآنية وتفسيرها، لأن الكثير من الاختلافات يعود إلى اختلافات لهجية، والقراءات القرآنية هي مصدر أصيل من مصادر دراسة اللهجات، ومرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدًا زمن نزول الوحي، ودراسة اللهجات ليس دعوة إلى العاميات، بل لها مسوغاتها، لأنها تفيد الفصحى في معرفة مراحل وأسباب وقوانين تطورها، وما هي العوامل التي تسهم في التوحد والانقسام. واللهجات تزودنا بصورة صادقة وحية عن الواقع، بخلاف اللغة المكتوبة التي تفتقر إلى الجانب الحي في اللغة وهو المستوى الصوتي، و«دراسة اللهجات ضرب من ضروب المعرفة الصحيحة لفهم دقائق اللغة وبيان أسرارها، وإذا كان علماء الاجتماع وغيرهم، استفادوا من دراستهم للهجات في معرفة سلوك الجماعات اللغوية، فإن من باب أولى أن يهتم بدراسة اللهجات دارس العربية وخاصة المهتم بها؛ لأن دراستها في حقيقة الأمر تعني معرفة تاريخها اللغوي، وانتقاله من طبقة إلى طبقة، فاختلاف لهجات القبائل إنما هي درجات في سلم التطور والارتقاء»[1].

([1])- عبد التواب موسى حسن الأكرت، ميزان الذهب في معرفة لهجات العرب، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2010، ص 17.

ولقد أدرك علماؤنا الأوائل المشكلات التي تحدث نتيجة الجوار اللغوي، وحتمية التأثير والتأثر، لذلك نجد علماء اللغة والنحو في تقعيدهم للقواعد أخذوا عن القبائل المنقطعة في الصحراء، وتركوا الأخذ عن القبائل التي كانت التي كانت متاخمة للأعاجم. قال الفارابي[1]:

1)- فلا يؤخذ من لخم، ولا جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط.

2)- ولا من قضاعة ولا من غسان، ولا من إياد؛ لمجاورتهم أهل الشام.

3)- ولا من تَغْلِب، ولا النّمر؛ لمجاورتهم اليونانية.

4)- ولا من بكر، لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين للنَّبط والفرس.

5)- ولا من عبد القيس؛ لأنهم كان سكان البحرين مخالطين للهند والفرس.

6)- ولا من أزد عُمان؛ لمخالطتهم الهند والفرس.

7)- ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم الهند والحبشة.

8)- ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم.

9)- ولا من حاضرة الحجاز؛ لمخالطتهم **عند نقل اللغة غيرهم** من الأمم ففسدت ألسنتهم.

وقال ابن خلدون: «وأما من بعد عنهم – أي قريش – من ربيعة ولخم، وجذام، وغسان، وإياد، وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس، والروم، والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطتهم الأعاجم»[2].

ولا شك أن الاحتكاك اللغوي قد أثر في اللغة العربية بشكل من الأشكال، وفي لهجاتها المختلفة، ويقع التأثير في المعجم والدلالة ثم الأصوات وأخيرا النحو، فنتيجة قوانين النحو الصارمة يبقى هذا المستوى صامدًا في وجه الحملات، وفي الأخير يستسلم نتيجة استسلام المستويات الأخرى، وبعد ذلك تتغير اللغة تمامًا، ويستعير متكلموها من اللغات الأخرى أخطر شيء وهو الأخيلة والاستعارات وطريقة التفكير؛ لأن اختلاف لغتين هو اختلاف عالمين.

([1])- السيوطي، الاقتراح، ص ص 56-57.

(2)- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، ط1، دار الفكر، بيروت، 1988. (765/1).

الأسر اللغوية

تصنف جميع اللغات عند العلماء إلى أُسر لغوية على أساس أوجه الشبه بين تلك اللغات، وتنحصر أوجه الشبه عادة في النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وترجع اللغات المصنفة تحت أسرة

لغوية واحدة قديمة تسمى اللغة الأم. كما هو الحال في أسرة الساميات،؛ فإنّ الأصل المفترض لها هو السامية القديمة وتفرعت عنها بعد ذلك الساميات.

الأسر اللغوية الكبرى: تصنف لغات العالم البالغة بين 2500 و 3500 لغة إلى أربع أسر

أ – الهندوأوروبية.

ب – الأورالية الألتائية.

ج – الحامية.

د – السامية.

أ – فصيلة اللغات الهندية الأوروبية:

1- الجرمانية: (الألمانية الهولندية الأنجليزية السويدية الدنماركية)

2- اللاتنية: (الفرنسية الايطالية الإسبانية البرتغالية)

3- اللغات السلافية: (الروسية الأكرانية البلغارية البولندية التشيكية الصربية الكرواتية)

4- الهندية الإيرانية: (السنسكريتية في الهند – الأوردية (الأوردو) في باكستان – البنغالية والسندية في باكستان – اللغات الفارسية ـ الأفغانية- البلوشية – الخوارزمية – الكردية – والأرمينية واليونانية (القديمة والحديثة) والألبانية.

ب – فصبلة اللغات الأورالية الألتائية (الطورانية):

1- التركية.

2- التركمانية

3- المنغولية

4- المنشورية

5- الأوزبك

6- القازقية

7- التتارية

ج – فصبلة اللغات الحامية:

وترجع إلى سلالة حام بن نوح عليه السلام ، وتنتشر هذه اللغات في شمال إفريقيا وشرقيها.

أهمها:

1- اللغات المصرية القديمة.

2- اللغات البربرية (الأمازيغية).

3- اللغات الكوشية: ويتكلم بها السكان الأصليون في شرق إفريقيا في إثيوبيا والسودان والصومال وإيرتيريا.

د – فصيلة اللغات السامية:

وترجع إلى سلالة سام بن نوح عليه السلام ، وتنتشر هذه اللغات في بعض أسيا وبعض إفريقيا، بعضها انقرض وبعضها استمرت حياتهم قديم الزمان دون انقطاع كما هو الحال مع العربية.وتشمل هذه الفصيلة::

1- الآكادية (البابلية والأشورية)

2- الكنعانية (الفينيقية والعبرية)

3- الآرمية

4- العربية

5- الحبشية

6- وما تفرع من هذه اللغات.

ويطلق اسم الساميين على الشعوب الآرمية والفينيقية والعبرية والعربية والبابلية والأشورية.

الجزيرة العربية هي المهدّ الأول للساميين:

فروع اللغات السامية:

تنقسم اللغات السامية إلى فرعين:

أ – شرقية.

ب – غربية.

أ – اللغات السامية الشرقية (الآكادية)؛ نسبة إلى آكد وهي من مدن العراق القديم، وتتفرع إلى:

1- البابلية (مدينة بابل) 2- الآشورية (مدينة آشور)

ب– اللغات السامية الغربية؛ وتتفرع إلى:

1 – اللغات السامية الغربية الشمالية و 2 – اللغات السامية الغربية الجنوبية.

1 – اللغات السامية الغربية الشمالية:وتتفرع إلى فرعين:

1–1 الكنعانية ولغاتها و 1– 2 الآرمية ولغاتها

1– الكنعانية
2– الفينيقية
3– العبرية

1– التدمرية
2– النبطية
3– الآرمية
4– السريانية
5– المندانية (لهجة الصابئة)

2 – اللغات السامية الغربية الجنوبية:وتتفرع إلى ثلاثة فروع:

أ– العربية الجنوبية (الحميرية)
ب– العربية الشمالية
ت– الحبشية

أ – العربية الجنوبية (الحمرية): السبئية و الحضرمية و القتبائية
ب – الحبشية: الأمهرية (إثيوبيا) والتيجرية (إيريتيريا) والجوارجية والهررية والجعزية.
ج – العربية الشمالية: تنقسم إلى قسمين:
1– العرب البائدة وُجدت في نقوش اللحيانيةوالصفوية الثمودية
2– العربية الباقية التي نزل بها القرآن الكريم.

وهذه التقسيمات وضعها الباحثون الغربيون وهي تقريبية، وقد رفضها كثير من الدارسين؛ لأن تقسيمها مبني على الأعراق.

خصائص اللغات السامية:

- يتألف الأصل السامي للكلمة في الغالب من الجذر الثلاثي، وبعضها من حرفين مثل: هو، هي.

- تكثر في الساميات الأصوات الحلقية: (الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء).
- يكثر تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية، بالإضافة تاء للمذكر؛ مثل: حسن- حسنة وعادل – عادلة.
- نظام خاص في تكون الجملة وربطها بروابط محددة؛ الواو، الفاء، ثم.

محاضرة رقم 03

الترادف

الترادف لغة: الردف: ما تبع الشيءَ، وكل شيء تبع شيئًا فهو رديفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو المترادف، والترادف التتابع.

اصطلاحا: عُرّف الترادف بعدة تعريفات متقاربة، منها ما عرّفه به الإمام الفخر الرازي: "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحدٍ، باعتبار واحد".[1]

وعرّفه الجرجاني: المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة".[2]

وعرّفه بتعريف آخر، فقال: " الترادف: هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد".[3]

وقيل:هو ما تحد معناه، واختلف لفظه.

والترادف: هو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد حينا آخر، كما تكافؤا حين آخر، وأطلقوا عليه كذلك عبارة: "ما اختلف لفظه واتفقت معانيه" والترادف ضد المشترك.

ومن أمثلة ذلك: السيف: فهو السيف والمهند والحسام والرمح والخَطي والّسمهري واليَزَنيّ والرديني والأسمر والعاسل والمذْعس والمثقَّب والقناة...

الخلاف في وقوعه:

ذهب بعض الناس إلى إثبات وقوع الترادف في العربية، وذهب آخرون إلى إنكاره.

وممن أنكر وقوعَه في العربية: أحمد بن فارس، وشيخه الإمام ثعلب، وأبو علي الفارسي.

قال ابن فارس: (باب الأسماء المختلفة وكيف تقع على المسميات)

"ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو: السيف والمهنّد والحسام، والذي نقوله في هذا: إنّ الاسم واحدٌ وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى."

وقال آخرون: إنّ الترادف واقع، وله فوائد، وهو قولُ كثير ممن ألّف في هذا الباب كابن خالويه، والفيروزآبادي، وغيرهم.

وقال السيوطي: "ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر.قالوا: وكذلك الأفعال نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع؛ قالوا ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك

---

(1)- السيوطي، المزهر (402/1).

(2)- الجرجاني، التعريفات، ص: 199.

(3)- الجرجاني، التعريفات، ص: 56.

القول فيما سواه، وبهذا نقول؛ وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب"[1] ودليلهم في ذلك أنّ اللغويين الأوائل صنفوا كتبا في أسماء الأسد وأسماء الحية و غيرها.

والحاصل كما قال عز الدين بن جماعة: "أنّ من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادف في الذات، والمتباينة في الصفات".[2]

فإذا قلنا – على سبيل المثال- : إنّ اللهَ هو السميع العليم البصير الخالق البارئ المصور؛ فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على ذات واحدة ومسمى واحد وهو الله عزّ وجل باعتبار أنّ في السميع معنًى غير المعنى الذي في البصير وهكذا ... وكذلك أسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ الحاشر والعاقب وغيرها، فهي مترادفة باعتبار أنها دلت على مسمى واحد وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم).

أسباب وقوعه: وهذا مبني على نظرية أن اللغات اصطلاحية.

1- أن يكون من واضعين – وهو الأكثر –؛

* وسببه تعدد اللهجات العربية ذات الأصل الواحد. فلو كانت من واضع واحد لأدى ذلك إلى اللبس، ولأصبح ما وضع لإزالة الإبهام سببا في اللبس والإبهام. وهذا ما وقف عليه رواة اللغة أثناء جمعها وتدوينها، لذاك نجد في المعاجم العربية اللفظَ المستعمل واللفظ المهجور؛ فإن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه كان لهجة لقبيلة خاصة انقرضت أو غلبتها لهجة أقوى منها.

* أن يشتهر الوَصفان ويخفي الواضِعان أو يلتبس وضعُ أحدهما بوضع الآخر.

2- أن يكون من واضع واحد وهو الأقل.

فوائد المترادف:

- تكثير الوسائل إلى الإخبار عما في النفس؛ لأنّ تنوع الأسماء يتيح للمتكلم الاختيار، وخير مثال على ذلك واصل ابن عطاء شيخ المعتزلة فقد كان ألثغا لا يستطيع نطق الراء نطقا صحيحا، فأسقط صوت الراء من كلامه، فقد دُفعت إليه رقعة وهو فوق المنبر مضمونها: "أمرَ أميرُ المؤمنين

(1)- السيوطي، المزهر (317/1).

(2)- السيوطي، المزهر (405/1).

الكرام أن تُحفر بئرٌ على قارعة الطريق فيشرب منها الصادر والوارد". فقرأ على الفور: "حكم حاكمُ الحكام الفخام، أن ينبش جب على جادة الممشى فيسقى منه الصادي والغازي".

- المراوحة في الأسلوب، والتفنن في الكلام، وطرد الملل والسآمة عن السامع.
- قد يكون أحد المترادفين أجلى وأظهر من الأخر، أو أنّ أصواته وجرس حروفه يحمل دلالة أقرب من الآخر.

أمثلة المترادف:

1- **العسل**: له ثمانون اسما أوردها صاحب القاموس في كتابه الذي سماه (ترقيق الأسل لتصفيق العسل). وسنذكر بعضها منها: العسل،والضَّرب، والضَّرَبَة، والضريب، والشوب، والذزب، والحميت، والتَّحموت، والجلْس، والورس، والأرْي، والإذواب، واللومة، واللّثْم، والنسيل، والنسيلة، والطَرم، والطِرم والطُرام، والطريمة، والدستفشار، والمستفشار، والشَّهد، والشُّهد، ...والعِكبر، والنحل، والأصبهانية.

قال السيوطي: ما استوفى أحد مثل عذا الاستفاء، ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ. (1)

2- **السيف**: ومن أسماء السيف كما ذكر ابن خالويه في شرح الدريدية: الصارم، والرِّداء، والخليل، والقضيب، والصفيحة، والمفقَّر، الصَّمصامة، والمأثور، المقْضَب، والكَهام، والأنيث، المِعضد، والجُراز....والأبيض، والغَمر، العقيقة، والمتين. (2)

(1)- السيوطي، المزهر (320/1).

(2)- السيوطي، المزهر (321/1).

محاضرة رقم04

المشترك اللفظي

ويقال له الاشتراك أيضا وهو نقيض الترادف، (اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين).

الأصل أن يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وهذا هو أكثر اللغة كرجل وفرس سماء وامرأة، وفي بعض المرات تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد وهو **المشترك اللفظي**.

تعريفه: وهو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز، وذلك كلفظ "الخال" الذي يطلق على أخ الأم، وعلى الشامة في الوجه، وعلى السحاب، وعلى البعير الضخم، وعلى الأكمة الصغيرة.

تعريفه لغة: اشترك يشترك، والمصدر اشتراك، والمشترَك اسم مفعول.

اصطلاحا: حدّه أهل الأصول: (بأنه اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة) [1]

ويقول ابن فارس: " تُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد؛ نحو: (عين الماء) و(عين المال)، و(عين السحاب) [2].

وعين الرجل: ذاته، والعين: العين الجارية ، والعين: العين الجارحة، والعين الجاسوس، وعين الميزان، وعين الشيء ذاته.

الاشتراك: هو أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر. وهو في العربية ظاهرة لغوية لا تنكر، وإن كان هناك من أنكر ها من قدامى اللغويين، ويطلق الاشتراك اللفظي عند القدماء، أحيانا بعبارة (ما اتفق لفظه واختلف معناه).

رأي العلماء حول المشترك:

- **المثبتون للمشترك:** من الذين أقروا وجود المشترك وعملوا على توضيحه أكثر الرعيل الأول من اللغويين، وعلى رأس أولئك: الخليل وسيبويه وأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري وابن فارس والأخفش الأوسط والثعالبي والمبرد والسيوطي وغيرهم، فقد أثبتوه وتوسعوا فيه مستندين إلى الشواهد العربية الكثيرة التي لا سبيل إلى الشك فيها، ومنهم من أفرد له مؤلفات

(1)- السيوطي، المزهر (292/1)

(2)- ابن فارس، الصاحبي، ص: 59.

كاملة لسرد المشترك. ومن العلماء من أوجب وقوعه؛ "لأنّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، فـ'ذا وُزع لزم الاشتراك. وذهب بعضهم إلى أنّ الاشتراك أغلب". [1]

- **المنكرون للمشترك:** وأغلبهم من الرعيل اللاحق، فأبو علي الفارسي أنكر أن يكون الاشتراك مقصودا في أصل الوضع، وإنما سببه تداخل اللغات، أو الاستعارة التي تشيع فتصير بمنزلة المعنى الأول.

أما ابن دَرستويه فقد أنكر الاشتراك لما فيه من عدم الإبانة، وعلّل مجيء النادر منه باللغات، أو بحذف واختصار وقع في الكلام، فقال: "فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل" ثم يذكر هذه العلل ويقول: "وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار في الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفي ذلك على السامع، وتأوّلَ فيه الخطأ"[2]

- **المتوسطون:** وهناك من وقف موقفا وسطا، لم يغال في إنكار المشترك، ولم يبالغ في الإقرار به، منهم أبو علي الفارسي

ويرى أنّ ذلك نتيجة تداخل اللغات المختلفة.

قال: "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا. في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، وأن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصيير بمنزلة الأصل".[3]

1- ويقول أبو الطيب [4]: للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظا ويختلف معناها.

يا ويحَ قلبي من دَواعي الهَوى إذْ رَحَل الجِيران عند الغُرُوبْ

اتبعتُهم طَرْفي وقد أَزْمَعُوا ودمعُ عينيَّ كفَيضِ الغُرُوبْ

كانُوا وفيهم طَفْلة حُرَة تفترُّ عن مثلِ أقاحي الغُرُوبْ

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثاني: جمع غَرْب، وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع الوِهاد المنخفضة.

---

(1)- السيوطي، المزهر (38/1).

(2)- السيوطي، المزهر (303/1).

(3)- ابن سيده، المخصص (295/13).

(4)- السيوطي، المزهر (297/1-298).

ومن الأمثلة:

2- العم[1]: أخو الأب، العم: الجمع الكثير، قال الراجز:

يا عامر بن مالك يا عَمّا أفينتَ عمّا وجبرتَ عمًّا

فالعم الأول: أراد به يا عمّاه، والعمّ الثاني: أراد به أفنيت قوما وجبرت آخرين.

3- وأنشد سلامة الأنباري في شرح المقامات[2]: [الرجز]:

لقد رأيت هذرياً جَلْسا يقود من بطن قديد جَلْسا

ثم رقى من بعد ذاك جَلْسا يشرب فيه لبنًا وجَلْسا

مع رفْقَةٍ لا يشربون جَلْسا ولا يؤمّون لهم جَلْسا

جَلْس الأول: رجل طويل، وجَلْس الثاني: جبل عال، وجَلْس الثالث: جبل، و جَلْس الرابع: عسل، وجَلْس الخامس: خمر، و جَلْس السادس: نجد.

الفرق بين المتواطئ والمشترك:

إن المشترك ما اتحدّ لفظه واختلف معناه، والمتواطئ هو ما اتحدّ لفظه ومعناه، ولكنه يختلف باختلاف السياق والإضافة.

(1)- السيوطي، المزهر (293/1).

(2)- السيوطي، المزهر (294/1).